

قصته «امرأة غلبت الشيطان» التي يحكي فيها عن امرأة وقعت صكاً مع الشيطان ينص على أن تتخلى عن روحها ليأخذها إلى الحكيم مقابل إعادتها إلى فترة شبابها مدة عشر سنين، وعندما عبت من نبع الحياة وارتوت من الملدات، وجرفتها الأيام إلى السنة العاشرة جاء الشيطان ليذكرها بالصك المعهود فاحتالت عليه ولعبت به لتدخل الجنة لا الحكيم⁽¹²⁾.

وهناك آثار أدبية كثيرة سوف نستعرضها فيما بعد، وكلها تصور لنا جوانب مختلفة من نظرة الحكيم إلى المرأة نظرة متشددة مستبدة غالباً.

وليس من شك في أن توفيق الحكيم يتنكب جادة الصواب في آرائه هذه، فخرج المرأة إلى الحياة العامة أصبح ضرورة بحكم مشاركتها للرجل في جميع المرافق الاجتماعية، وبحكم روح العصر. وكذلك الأمر بالنسبة إلى حرية اختيار زوجها التي لا يمكن أن نحرّمها منها لما يترتب عليها من نجاح أو إخفاق في الحياة الزوجية.

أما تلك العبارات والألفاظ النابية التي يستعملها الحكيم في كتابته - وخاصة الأولى منها - عن المرأة، من مثل «الاحترار»، و«الغفاهة» و«الرياء»، و«الخداع»، و«المرأة تغلب الشيطان»، فإنها صفات في إمكانها أن تنطبق على الرجل مثلما تنطبق على المرأة؛ فهناك من الرجال من هو منافق ومخادع وحقير وتافه.. الح.

2 - وهناك الخلفية النفسية الذاتية التي لعبت دورها في تبلور آراء الحكيم في المرأة. ونسيج هذه الخلفية يتكون من تلك الموروثات التي ورثها الحكيم عن أبيه وأمه، أو البيئة المنزلية التي عاش فيها مرحلة طفولته وسني شبابه المبكر، والتي شكلت شخصيته وطبعها بطابع خاص.

وسوف نحاول أن نرصد بعض هذه الموروثات التي ميزت شخصية الحكيم، وكان لها أثر في توجيه آرائه في المرأة.

يذكر الحكيم في كتابه «سجن العمر» أن أمه كانت حادة الطبع، عصبية المزاج، عنيدة، مصرة، شديدة الانفعال وسريعته، نارية الخلق، كثيرة الشغب